بين يدي الكتاب

الحمدُ للهِ الغَنِيِّ الحميد ، ذي العرشِ المجيد ، الفَعَّالِ لما يُريد ، وهو ـ سُبحانه ـ على كلِّ شيءٍ شهيد . أحمدُه ، وأشكره ، وأسألُه من فضله المزيد .

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده المبدئ المعيد ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله ، أفضل داعٍ إلى الإيمان والتَّوحيد .

اللهمَّ صلِّ على نَبيِّكَ محمدٍ إمام المتَّقين ، وعلى آله ، وأصحابه ، ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين .

أمَّا بعد :

فإنَّ الحياةَ بين الفَيْنة والفَيْنة تتمخَّضُ عن كُتَّابٍ ومُؤلِّفين مرموقين ، فيمهِّد لهم الزَّمانُ بعد طول انتظار ، وعَنَاء سِنين ، فتكون وِلادتُهم خيراً للآخرين ، إذ تُولَد معهم حقائقُ وأساليب ، ويكونون نبراساً يُنيرُ الطريقَ للسائرين ، فهم كالطَّود الأشم في البحر الخِضَم .

ولعلَّ القرن العشرين قد أشرقتْ شمسُه على ثُلَّةٍ من الكُتَّاب العظماء ؛ الذين سطَّروا بيراعهم صفحاتٍ مشرقة من العلم ، والأدب ، والمعرفة ، وتركوا بَصَماتٍ لا تُمحى على جبين النَّهضة ، ومن تلك الشُّموس النَّيِّرة كان إمامُ البيان مصطفى صادق الرافعي عَلَماً يُشَار إليه بالبنان ، ودَفْقةَ فِكْرٍ كان لها أثرٌ عميق ، وما يزال ذلك الأثر يمتدُّ شلالاً هادراً من الجهاد على صعيد الكلمة الحُرَّة ، والكفاح الدَّؤوب لإحقاق الحقِّ ، وتأدية رسالة القلم ، والوقوف بحزمٍ وصلابةٍ إزاء أدعياء التجديد ، حتى أُطْلِق عليه لقب : حُجَّة العرب ، ونابغة الأدب .

ثُمَّ إنَّه جَمَع بين فَنَّي النَّظْم والنَّثر ، وكان الأوحد في الفَنِّ اللفظي ، وتوليد المعاني ، والعلوّ بالأسلوب ؛ حتى سَمَا به إلى درجةٍ فوق الشِّعْر ، وحلَّق بالبلاغة إلى أرفع معانيها ، وأوسع آفاقها .

وكان الرَّافعيُّ منافحاً عن لُغة القرآن الكريم ، مُجاهِداً في سبيل الحِفاظ على

البيان العربي الرَّفيع ، النَّبيل في معناه ، العالي في مَبْناه ، فكان نتاجُه أدباً شامخاً خالداً ، فيه عَبَقُ الفصاحة ، ونَفْحةُ العروبة ، وعُذوبةُ الكلمة ، بعيداً عن رياح الغرب ؛ التي تأثَّر بها كثيرٌ مِنْ حَمَلة الأقلام آنذاك .

ولقد جَمَعَ الرافعيُّ بين الجملة الفصيحة والمعنى الدَّقيق ، مع الخيال المجنِّح ، والأجواء الفكرية الصَّافية ، وحلَّى ذلك بشذا الإخلاص للإسلام والعرب ، فكان مالكاً للصُّورة الجميلة ، والخيالِ الشِّعري ؛ لذا فإنَّ قارئ كتاباته يحتاجُ إلى الصَّبْر ليسير مع هذا الكاتب الكبير ، ويُرافقه في ذوقه الفني ، وروحه الخصبة ، كما يحتاجُ متسلِّقُ البنيان الشَّامخ إلى القُوَّة ، والجَلَد .

هذا ؛ وإنَّ مُؤلَّفات الرَّافعي مطبوعةٌ متداولةٌ ، لكنَّ القارىءَ يُصْدَمُ بما يشيعُ في تلك الطبعات من أخطاء مطبعية ، ونقصِ طائفةٍ من الكلمات بين الأسطر ، علاوةً على سُوء الضَّبْط .

حتَّى إنَّ الطبعات القديمة لكتاب « وحي القلم » ـ مثلاً ـ تعجُّ بمثل هذه الإساءات ، ومِنْ ذلك طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ودار المعارف المصرية ، إلى جانب الطبعات التي صدرتْ في لبنان وسورية على حَدٍّ سواء .

ولعلَّ مردَّ ذلك يرجعُ إلى أن القائمين على تلك الطبعات إنما يبتغون السُّهولةَ في العمل ، والتجارة من وراء النشر ، فيصوِّرون الطبعات المصرية ، أو يُنَضِّدُون الكِتابَ من جديد ، لكنَّهم يُسْنِدُون مُهِمَّة التصحيح والتدقيق إلى غير المؤهَّلين لمثل هذا العمل .

ولا أدَّعي الكمالَ في إخراجِ هذه الطَّبعة ، إذْ لا كمالَ في عالم الطِّباعة ، إلا أنَّني لم أدَّخرْ جَهْداً ولا وقتاً في الضَّبْط ، والشَّرْح ، والتَّصحيح ، حتى أستطيع أن أقولَ بأنَّ هذه الطبعة تَفْضُلُ غيرَها ، وسيجدُ القارىءُ الكريمُ فيها مُبْتغاه ، وطِلْبته المنشودة .

وقد سار منهجُ العمل وَفْق الخطوات التالية :

١ ـ المقابلة بين عِدَّة طبعاتٍ لكتاب « وحي القلم » مع الأصل المنشور في مجلة « الرسالة » .

٢ ـ ضَبْط النَّص بالشكل ؛ لِيُؤْمَن اللبسُ أثناء القراءة .

٣ ـ وَضْع علامات الترقيم المناسِبة .

٤ ـ شَرْح الكلمات الغامضة .

٥ ـ تخريج الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية .

٦ ـ إبراز طائفةٍ من الحِكَم الواردة ، والآراء المبثوثة بلونٍ غامق ؛ لِما تحمله تلك الكلمات من معانٍ جليلة ، ومقاصد نبيلة ، يجدرُ بكلِّ قارئ أن يعيدَها ، ويتفهَّمها ؛ فهي خُلاصةُ الفكر ، ولُبُّ الرَّأي .

٧ ـ وَضْع حرف (ع) في نهاية كلِّ تعليق للرافعي ، وحرف (س) في نهاية كل تعليق لمحمد سعيد العريان .

٨ ـ توشيةُ المقدمة بمقالاتٍ لكتَّاب كبار ؛ كأحمد حسن الزَّيَّات ، ومحمد سعيد العريان ، والدكتور عبد الوهاب عزام .

ولا يسعني إلا أن أشكر الأخَ الكريم ، والأستاذ الفاضل علي ديب مستو (أبو مالك) صاحب دار ابن كثير العامرة بالعلم والإيمان ؛ لِما أولاني به من ثقةٍ ، حين أسند إليَّ العناية بكتاب « وحي القلم » ، فأياديه بيضاء ، وفَضْلُه لا يُنكر ، فجزاه اللهُ تعالى كلَّ خيرٍ .

واللهَ وحدَه أسألُ أن ينفعَ بهذا الكتاب ، ويجعله يتبوَّأ مكانَ الصَّدارة في نفوس القُرَّاء ، فَيُقْبِلُوا عليه قراءةً ، وفَهْماً ، ونَسْجاً على منواله ، فهو جديرٌ بذلك ، وحريٌّ بنا أن نعتني بمؤلَّفات الرَّافعي ؛ لِما لها من أثرٍ كبيرٍ في تصحيح الأسلوب ، والمحافظة على اللغة العربية ؛ في زَمَنٍ كَثُر فيه المتمرِّدون على البيان المشرِق ، واللغة المتألِّقة .

اللهم علِّمنا ما ينفعنا ، وانْفعنا بما علَّمتنا ، وزِدْنا عِلْماً يا أرحمَ الرَّاحمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

دمشق في ١٠/ محرم/ ١٤٢٤هـ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ **يوسف بديوي**

١٣/ آذار/ ٢٠٠٤م